مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1 المجلد (23) – العدد (01) (جوان، 2022) - ص 589- 610
ISSN 1111-5149 /E. ISSN 2430-2588

قبائل موريطانيا السطايفية ومقاومة الاحتلال الروماني: "ثورات قبائل البوار والحلف الخماسي أنموذجا"

The tribes of Mauritania Staifia and the resistance to the Roman occupation:" the Bavares tribe's revolutions and the Quinquegentiani

حدة قادري*[1]، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (جامعة الجزائر2)
hadda.kadri@univ- alger2.dz
دليلة بورني[2]، (جامعة الجزائر2)، dalilaboureni@yahoo.fr

تاريخ الاستلام	2021-03-09	تاريخ القبول	2022-04-05

ملخّص

شكلت موريطانيا السطايفية حقبة تاريخية هامة من حقب تاريخ المغرب القديم الروماني، فمنذ أن أنشئت في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي على يد الإمبراطور "ديوقلديانوس" (284ـ305م)، وهي تلعب دورها الحضاري بامتياز سياسيا وعسكريا وبالأخص اقتصاديا. كما أن تاريخ هذه المقاطعة حافل بالمقاومات والثورات ضد الاحتلال الروماني (بين القرنين الثالث والرابع الميلاديين)، تزعمتها في كثير من الأحيان القبائل المحلية، أهمها قبائل البوار والحلف الخماسي، فكانت أراضي المقاطعة السطايفية مسرحا لهذه الثورات التي أثرت على الوجود الروماني بالمنطقة.

ولعل أهم الدوافع التي جعلتنا نهتم بدراسة قبائل موريطانيا السطايفية، هو الرغبة في تسليط الضوء على تلك القبائل التي وطنت هذه المنطقة ذات الموقع الاستراتيجي المهم، مشكلة مجتمعًا محليًا بتكوينها لتكتلات وكنفدراليات قبلية، وذلك من خلال تتبع الشذرات المتفرقة والمختلفة من المعلومات، نقلتها لنا في الغالب النقوش الأثرية والنصوص الأدبية، ولا تزال الكثير من الحقائق حول هذه القبائل مجهولة أو غامضة.

الكلمات المفتاحية :موريطانيا السـطايفية؛ الإمبراطور؛ ديوقلديانوس؛ المقاومة؛ البوار؛ الحلف الخماسي.

Abstract

Staefia Mauritania was an important historical period in the ancient Roman history of Ancient Maghreb, since it was established in the second half of the third century AD by the Emperor "Diocletian" (284-305 AD), and it plays its cultural role with distinction politically, militarily, and especially economically; The history of this province is rich With the resistances and revolutions against the Roman occupation (the third and fourth centuries AD), it was often led by local tribes, perhaps the most important of which were, the Bavares tribes and the Quinquegentiani, so the territory of the Staefia district was where these revolutions took place , which would definitely affect the Roman presence in the region. Perhaps the most important motive behind our desire to study the tribes of (stayfya) Mauritania is to shed light on the tribes that inhabited this important, strategically positioned region, the problem of a local society by creating clusters and tribal confederations, through following the scattered shards that differ when it comes to the information relayed to us in ancient scribes and literary texts, and there are many facts that are still unknown and mysterious.

Keywords: Mauritania of Staefia; Emperor Diocletian; the Resistance; the Bouar (Bavares); the Pentathlon; the Quinquegentiani.

* المؤلف المرسل

مقدّمة

ظلت ستفيس(Sitifis) طيلة العهد الإمبراطوري الأول (القرن الأول حتى أواخر القرن الثالث الميلادي) تابعة لمقاطعة موريطانيا القيصرية التي امتدت حدودها آنذاك من وادي الملوية غربا إلى الوادي الكبير شرقا، في عهد الإمبراطور "ديوقلديانوس"(284ـ305م) وبالتحديد العام 288م، انفصلت المقاطعة السطايفية عن موريطانيا القيصرية من جزئها الشرقي، وأصبحت مدينة ستفيس عاصمة للمقاطعة المستحدثة ومنها أخذت تسميتها، قطنت المقاطعة قبائل عدة خلدتها المصادر سواء الأدبية من نصوص تاريخية وجغرافية مثل ما أورده كل من أميان ماركولان ويوليوس هونريوس وكلاوديوس بطليموس، أو المادية المتمثلة في النقوش الأثرية. هذه المصادر بنوعيها قدمت لنا معلومات متفاوتة الأهمية عن هذه القبائل، وسلطت الضوء بدرجة أكبر على قبائل البوار والحلف الخماسي التي اشتهرت بقوتها وكثرة عددها وعدائها ومقاومتها للاحتلال الروماني خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين، في حين القبائل الأخرى اكتفت المصادر بإشارات مقتضبة عنها. وعرفت القبائل المورية بكثرة تحركاتها بسبب السياسة الرومانية اتجاهها، القائمة على الضغط عليها وترحيلها، مما صعب تحديد موطنها ومعرفة نمط معيشتها، كما استطاعت هذه القبائل تشكيل كنفدراليات مؤقتة، وتحقيق استمرارية مستغلة ضعف الجيش الروماني بين الحين والآخر فشملت كامل بلاد المغرب.

تهدف دراستنا لمحاولة فهم التركيبة والبنية البشرية للقبائل المحلية من خلال ذكر أسمائها، وأماكن استقراراها وحتى نمط معيشتها بالمقاطعة السطايفية، كما نسعى لفهم علاقتها بالسلطة الرومانية التي عملت على تغييب العنصر المحلي عن طريق سلب خيراته، واعتباره بدويا، في المقابل تشجيع عمليات التوسع والاستيطان.

إشكالية الدراسة

ارتأينا في ورقتنا هذه البحث عن القبائل التي استوطنت المنطقة محل الدراسة محاولين معرفة موقفها من الاحتلال الروماني، وعلاقاتها مع بعضها بعضا، فما الأسماء المحلية التي عرفت بها القبائل المحلية؟ وهو تساؤل انجرّت عنه إشكالية أخرى حول تحديد موطن هذه القبائل؟ ثم تطرّقنا لتساؤل أكثر أهمية حول موقف هذه القبائل من سياسة الاحتلال الروماني. هل كانت علاقة تمرد وثورات؟ وهل حقق الرومان بعضا من أهدافهم الحضارية فيما يعرف بسياسة الرومنة؟

الدراسات السابقة

في سبيل إعداد هذا الموضوع، اعتمدنا مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة والمختصة. تمثلت أولا في المصادر المادية التي استقيناها من نتائج مختلف الأبحاث الأثرية، وتقارير علماء الآثار الميدانية التي صدرت في كتب عدة مثل الجزء الثامن من مدونة النقوش

اللاتينية، وثانيا مصادر أدبية متمثلة في كل ما سجله الكتّاب القدماء في كتب التاريخ والجغرافيا والسير، غير أنها تتميز عادة بالعمومية والشح في المعلومة منها بلين الكبير في مؤلفه "التاريخ الطبيعي"، وبطليموس وأميان ماركولان الذي عاش في القرن الرابع وأرّخ لأحداثه، وغيرهم كثير. أما بالنسبة للمراجع، فقد اعتمدنا مجموعة لعل أهمها كتاب صنفه المؤرخ الفرنسي جيهن ديزانج (Jehan Desanges) حول القبائل الإفريقية التي عرفتها العصور القديمة بين مصر والمحيط الأطلسي والموسوم بـ "مدونة القبائل الإفريقية في العصور القديمة غرب النيل" الصادر في دكار سنة 1962 والعديد من المراجع الأخرى.

المنهج المعتمد

لدراسة موضوع ورقتنا البحثية، وللإجابة عن إشكالياتها وفرضياتها، استعنّا بالمنهج التاريخي الوصفي الذي يهتم بوصف الأحداث وتسلسلها كرونولوجيا في الزمان والمكان اعتمادا على المصادر، وهو المنهج الذي لا يمكن الاستغناء عنه. إضافة إلى المنهج التحليلي الذي استعنّا به في تحليل المادة العلمية من مختلف المصادر والمراجع بحثا عن تفسيرات، واستثمارها كمادة معرفية؛ بغية إظهار بعض الحقائق.

1- تأسيس موريطانيا السطايفية

المقاطعة في مفهومها هي أراض استحوذت عليها روما خارج شبه جزيرة إيطاليا في فترات متعاقبة، كونت منها ولايات أو مقاطعات خاضعة لها(بشاري و شارن، 2007، صفحة 155)، ومصطلح مقاطعة له مدلولان. الأول: يعني إقليما رومانيا بصفة رسمية، أما المعنى الثاني فهو إقليم مراقب عسكريا.

أمّا التسمية بمقاطعة موريطانيا السطايفية (Mauretania Sitifensis) فقد أطلقتها الإدارة الرومانية على الجزء الشرقي من مقاطعة موريطانيا القيصرية التي كانت تابعة لها، وانفصلت عنها في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي على يد الإمبراطور ديوقلديانوس (Dioclétien)(ينظر التعليق رقم1) بين سنوات 288 و298م، الذي عرفت في عهده الإمبراطورية الرومانية إصلاحات عميقة شملت كل مجالات الحياة، من بينها التغيرات الإقليمية بمضاعفة عدد المقاطعات(تمام، 1016/2015، صفحة 17)، وسميت بالسطايفية نسبة لمستعمرة ستفيس (Sitifis) التي أسسها الإمبراطور ماركوس كوكيوس نيرفا (Marcus) Cocceius Nerva، وهو إمبراطور روماني تولى الحكم في الفترة ما بين 96 م-98 م وهو أول الأباطرة الأنطونيين الرومان من(الأباطرة الخمسة الجيدون)الذين حكموا الإمبراطورية الرومانية له ابن بالتبني (تراجانTrajanus) ما بين 96م -98 م. لقدماء الجنود الرومان (Toulott, 1894, p. 195) والتي اتخذتها الإدارة الرومانية عاصمة لهذه المقاطعة نظرا لأهميتها.

اختلف المؤرخون حول التاريخ الرسمي لتأسيس هذه المقاطعة، واعتمدوا علي مجموعة من المصادر الأدبية والأثرية لأجل تحديده بدقة، فالأدبية منها تمثلت في مجموعة من القوائم استعملت لأجل ذلك، منها قائمة فيرون(La terculus Veronunis) التي تعود لسنة 297م، نصّت على التقسيم الذي أحدثه ديوقلديانوس في المقاطعات الإفريقية حيث أصبحت تضم سبع مقاطعات (Habet Povincias Numéro VII Diocensis Africae) وهي البروقنصلية، وزغوان، وبزاكينا (المزاق) ونوميديا سيرتا، ونوميديا ميليسسا، وموريطانيا القيصرية وموريطانيا تابيا(Cagnat, 1912, p. 706)، وقد قورنت مع قوائم أخرى تناولت هذا الموضوع وهي قائمة روفوس فيستوس (Rufus Festus) التي تعود لسنة 396م، وقائمة بولميوس سلفيوس (PolemiusSilvius) لسنة 385-386م وقائمة الشرف (NotiaDignatatum) (Cagnat, 1912, p. 706) . وبالمقارنة يتبين أن مقاطعة موريطانيا السطايفية ذكرت في ثلاث قوائم في المرتبة السادسة، بينما قائمة فيرون ذكرت موريطانيا طابيا أنسديانا، ما دفع المؤرخين إلى اعتبارهما المقاطعة نفسها، أما الطرح الثاني، فيعتقد بعض المؤرخين أن الكاتب نسي كتابة مقاطعة طرابلس التي أخذت المكان نفسه في كل القوائم بين نوميديا وموريطانيا القيصرية، التي لم يشر إليها في قائمة فيرون، ومن المفترض أنه تم إهمالها وإغفالها، في هذه الحالة من المؤكد أنها مقاطعة طرابلس(Cagnat, 1912, p. 706).

أما المصادر المادية المتمثلة بالأساس في النقوش، فهي تعطينا معلومات أوفر لتوضيح تاريخ تأسيس موريطانيا السطايفية، فنجد ذكرًا لهذه المقاطعة أول مرة بالنقيشة المكتشفة عام 1860م في بجاية المحفوظة بمتحف المدينة، وهي نقيشة صلداي (Saldas) (Laporte J. P., 1996, p. 1111) (CIL, VIII, p. 8924) التي كانت تنتمي لهذه المقاطعة، وأوردت تاريخ تأسيسها(Cagnat R. , 1909, p. 72). وتشير النقيشة إلى حملة أوريليوس ليتوا (Aurelius Litua) حاكم القيصرية ضد قبائل الحلف الخماسي(Quinquegentanei) (Latour, 1860, pp. 434-438) .

لكن هذه النقيشة تطرح إشكالا بذكرها مقاطعة موريطانيا السطايفية والإمبراطورين الحاكمين، وعدم ذكر كل من القيصرين غاليريوس (Galerius) وكونستانس كلور (Constantius Chlorus) اللذين عينا يوم 1مارس 293م، فهما لا يظهران في هذه النقيشة؛ وهو دليل على أن النقيشة أنجزت قبل هذا التاريخ، ما يعني أن موريطانيا السطايفية كانت موجودة قبل التاريخ المذكور(Cagnat R. , 1909, p. 72). لكن (Poull. M) طرح تساؤلا عن إمكانية إقامة بناء أول معلم في مدينة ليست ضمن إدارته، كما تساءل عن إمكانية تعرض الصالديين (سكان بجاية) لغارات من جيرانهم قبائل الحلف الخماسي، وذلك من خلال مشاركتهم في تمجيد حاكم موريطانيا القيصرية دون ذكر لقائد أو حاكم السطايفية، وهذا أمر غير منطقي كون النقيشة وضعت في مكان عمومي، وتتجاهل حاكمًا محلياً، بينما تبجل حاكم

مقاطعة مجاورة، وإن افترضنا أن أوريليوس قام بحملته قبل تقسيم موريطانيا القيصرية، يصبح طبيعيا إقامة معلمه في صلداي. والأرجح أنهم استندوا إلى القانون الذي يعود إلى عهد أغسطس الذي يمنع السكان من تشريف حاكم مقاطعتهم وهم في مناصبهم، وقبل انقضاء شهرين على انتهاء مهمتهم(Poulle, 1862, p. 180).

إذن في خريف 293م كانت حملة أوريليوس قد انتهت، وتقسيم المقاطعة تم ربما قبل هذا التاريخ(Poulle, 1862, p. 72.75)، حيث إن الحملة العسكرية لأريليوس كانت بالجنود الإمبراطوريين لأن القيصرين لم ينصبا إلا بنهاية 292م، والجيوش كلها تابعة لموريطانيا القيصرية، لكن بنهايتها أصبح جزء منها تابعا للقيصرية، والجزء الآخر للسطايفية، وهذا معناه أن تقسيم المقاطعة كان معاصرا لإقامة النظام القيصري، ونفهم منه أن قيادة الجيش ظلت في يد أوريليوس حتي نهاية الحملة، وباللقب نفسه والسلطة وذلك بهدف قهر مقاومة الأهالي(Cagnat R. , 1909, p. 73).

لكن مصدرًا آخر عقّد من الإشكالية، و يتمثل في اكتشاف نقيشة كفريدة (Cuntenaricim Aque Frigida) عام 1880م وهي تعود لفترة ما بعد الفاتح مارس عام 293م، ورد فيها اسم القيصرين كنستانس كلور(Constance Chlore) وغاليريوس(Galerius) إلى جانب الإمبراطورين، حيث أقام أوريليوس ليتوا حاكم القيصرية حصنا في السطايفية، وهذا غير ممكن، إلا إذا كانت المقاطعة لم تنفصل بعد عن موريطانيا القيصرية، أو أن هذا الحاكم احتفظ بسلطته العسكرية بعد التقسيم، هذه النقوش المعتمدة تظهر فقط بعد الحكم الرباعي(ينظر التعليق: رقم2)(Di Vita, 1984, p. 165).

يعتقد (Cate. E) أن انفصال موريطانيا السطايفية عن القيصرية كان منذ زمن طويل، أي منذ عام 290م(Cat, 1891, p. 5)، لكن ف. دوفيتا (De Vita) اعتبر هذا التاريخ فيه شك، وبالعودة لنقيشة بجاية التي تشير لحملة أوريليوس ليتوا (Aurelius Litua) حاكم مقاطعة موريطانيا القيصرية بين(290-293م) ضد ما يعرف بقبائل الحلف الخماسي، الذي جمع قوتين من كلتا المقاطعتين القيصرية والسطايفية، وقد تدخل واحتفظ بالسلطة العسكرية للمقاطعتين(Laporte J. P., 1996, p. 1111.1121).

ويرجع بعض المؤرخين تاريخ تأسيسها إلى عام 288م على يد الإمبراطور ديوقلديانوس وقت الاضطرابات والثورات التي هزت معظم مقاطعات الإمبراطورية الرومانية الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية في وقت واحد(مسعي، 2011، صفحة 148)، حيث سعى ديوقلديانوس من تجزئة الولايات ومضاعفة عددها في وضع حد لهذه الاضرابات، منها تلك التي عرفتها موريطانيا القيصرية، حيث تولى أوريليوس حكم المقاطعة سنة 289م وقيادة الجيش في منطقتين عسكريتين هما: القيصرية والسطايفية (Laporte J. P., 1996, p. 1111.1121)؛ لأجل التصدي والقضاء على ثورة قبائل الحلف الخماسي التي بدأت في السنة

نفسها. لكن من المستبعد تفكير ديوقلديانوس في تقسيم إداري للمنطقة في فترة اضطرابات كهذه، كما أن الحقائق التاريخية تنفي هذا التحليل كون أن حاكم موريطانيا القيصرية سنة 288م هو فلافيوس بكاريوس (Flavius Pecarius) الذي أقام نصبا تذكاريا بستفيس يعلن فيه ولاءه للإمبراطور ديوقليديانوس، ذكرت فيه مقاطعة موريطانيا القيصرية، وعليه فالتقسيم في هذه الفترة مستبعد(Di Vita, 1984, p. 166).

يأخذنا ف. دوفيتا إلى عام 303م تاريخ إعادة تنظيم إفريقيا بتقسيم نوميديا والبروقنصلية، وهو يفترض بأن موريطانيا قسمت، لكنها بقيت تحت لواء حاكم واحد (Di Vita, 1984, p. 168)، لكن هذا ورغم منطقيته يصطدم بنقيشة صلداي (Laporte J. P., 1996, p. 1111.1121).

والمؤكد أن مقاطعة موريطانيا السطايفية كانت قائمة في عام 293م، حيث بدأ ديوقلديانوس في تقسيم المقاطعات الإفريقية، وإعادة التنظيم، وانتهى عام 295م أو 296م(Di Vita, 1984, p. 166) واستمرت إلى غاية القرن الخامس، وهذا الطرح الذي تبناه (م. ب) شنيتي بتحديد تاريخ تأسيس مقاطعة موريطانيا السطايفية مابين 292 و296م على أكثر تقدير(شنيتي م.، صفحة 80).

2- الحدود الجغرافية للمقاطعة السطايفية

هذا فيما يخص تأسيس المقاطعة السطايفية، أما عن الحدود الجغرافية التي رسمتها الإدارة الرومانية لهذه المقاطعة، فالمعلومات عنها ضئيلة وناقصة ما صعب تحديدها، معلوم أن المقاطعة محل الدراسة كانت طيلة العهد الإمبراطوري الأول (من القرن الأول حتى أواخر القرن الثالث الميلاديين) تابعة لموريطانيا القيصرية التي امتدت حدودها آنذاك من وادي الملوية (Mulucha) غربا إلى الوادي الكبير أمساغا شرقا(Feraud, 1872, p. 33). ثم أصبحت بموجب التغيير الإداري الذي أحدثه ديوقلديانوس في أواخر القرن الثالث الميلادي ومطلع القرن الرابع تمتد (منصوري خ.، 2001، صفحة 15) من نوميديا القديمة الموسوم والمحدد بمصب نهر أمساغا (Ampasga) أي الوادي الكبير شرقا، إلى روسوكورو (Rusucru) (دلس Dellys) غربا(كركوبينو، 2008، صفحة 341).

ويذكر الباحث بول (Poulle) في كتابه (A Travers la Mauritanie sétifienne) حدودها منذ الفترة النوميدية، ولكن دون تجسيد أو تقسيم(صليحة، 2018، صفحة 219).

أ- حدود الجهة الشرقية

يظهر أن الحدود الشرقية للمقاطعة السطايفية هي أقل غموضا مما هي عليه حدود الجهة الغربية، وذلك بفضل العمران الكثيف ومعالم الطرق التي احتفظت بمستندات تساعد على تتبع اتجاه هذه الحدود من الشمال إلى الجنوب؛ تكاد تجمع وتتفق آراء الباحثين على اعتبار الوادي الكبير الأمساغا هو الحد الفاصل بين مقاطعتي نوميديا وموريطانيا القيصرية، ثم

السطايفية بعد تأسيسها(شنيتي م.، صفحة 20). هذا الوادي الذي مثل في ما مضى الحد الفاصل بين مملكتي الماسيل(Massyles) والمازيسيل(Masaessyles) حسب الجغرافي سترابون (Strabon) (سترابون، XVII) على اعتبار أن موريطانيا السطايفية كانت ضمن مملكة المازيسيل، فذكر هذا الوادي كحد فاصل بينهما(Cat, 1891, p. 2)، وقدم بلين الكبير وصفا لهذا الوادي بالقول بأن مجراه يسير محاذيا لحدود موريطانيا السطايفية شرقا(كبور، 2016/2015، صفحة 44)، واعتبره كل من بومبونيوس ميلا (Pomponius Méla) وبطليموس (Ptolémée) حدًا غربيًا للكنفدرالية السيرتية (الستيانية)(القرن الأول قبل الميلاد)(Aibeche, 2011, p. 17).

لكن ما لم يذكره المؤرخون القدامى أن هذا الوادي لا يفصل بين المقاطعتين إلا في مجراه الأدنى وعلى طول حوالي40 كلم فقط؛ أي من مكان التقائه برافده واد العنجة، حيث مدينة توكا (Oppidum tucca) إلى مصبه في الخليج النوميدي(Sinus Numidicus) بالبحر المتوسط بين جيجل(Igilgili) ورأس بوقارون، وبذلك تكون مدينة توكا تابعة لموريطانيا السطايفية (بشاري م.، صفحة 30)، ومن مدينة توكا تنحرف الحدود في اتجاه الغرب متبعة واد العنجة حتى نقطة التقائه بوادي الذهب، ثم تتجه جنوبا متبعة هذا الوادي فتكون مدينة جميلة (Cuicul) بنوميديا ومونص (Mopti) بموريطانيا السطايفية (Cat, 1891, p. 3).

وأما حدود الجنوب، فتبقى غامضة وغير واضحة في هذا القسم، فلا أودية واضحة تجعلنا نعتقد بأن هناك أودية تم الاستناد عليها في رسم الحدود، ولا معالم طبيعية، ولا طرق برية ضبطت الحدود(كبور، 2016/2015، صفحة 44)، والراجح أن الحدود تتبع وادي الصفصاف الذي يقطع سهل العلمة تاركا مدينتي تيجلافا (Thigillava)(Gsell S. , 1911, p. F16n°196.) وسوبتبارتي (Subtabarti) في نوميديا، ومنها تمر الحدود بين سبخة بازر وجبل براو الذي شكّل مع الوادي السالف الذكر معلما طبيعيا استند عليه لترسيم الحدود بين مقاطعتي نوميديا وموريطانيا السطايفية، حيث عثر على طاولة لتعرفة جمركية كدليل على وجود مركز جمركي بالمنطقة، وهو ما أدى إلى احتمال مرور الحدود من هذا المكان، خاصة وأن المنطقة ملائمة لإقامة مركز كهذا لمراقبة كل التحركات، تستمر الحدود في التقدم نحو الجنوب لتمر غرب جميلاي (Gemellae) القصبات النوميدية بين سبختي فراين وحاميات، لتقطع بعدها جبال فلايون ومنشار ومناس ذات الأهمية الاستراتيجية، وتستمر في اتجاه الجنوب تاركة زراية (Zarai) في نوميديا، ثم تتبع وادي رانية حتى يصب في وادي بريكة شمال نقفبوس(Nicivibus) الذي تتبعته حتى مصبه في شط الحضنة تاركة نقفبوس وطبنة (Thubunae) في نوميديا(Cat, 1891, p. 166).

ب- حدود الجهة الغربية

هناك إجماع بين الباحثين على أن بعض معالم الحدود الشرقية لمقاطعة موريطانيا السطايفية معينة منذ القدم، لكن الوضع يختلف في الجهة الغربية، فالحدود ليست واضحة تماما(Aibeche, 2011, p. 17)، إذ لم يتعرض المؤرخون والجغرافيون القدماء إلى هذه النقطة، ولهذا اعتمد المؤرخون المعاصرون على بعض الإشارات مثل قوائم الأساقفة، ومواقع بعض المدن التي ورد اسمها في مختلف المناسبات، ومحاولة تحديدها بالاعتماد على بعض الآثار المادية(بشاري م.، صفحة 31).

يظهر من الوهلة الأولى أن وادي الساحل (Nasavath Flumen) مثل الحدود الطبيعية بين موريطانيا السطايفية والقيصرية، لكن الواقع يبرز غير ذلك(Aibeche, 2011, p. 17)، بتواجد مدن تقع على الضفة اليسرى لهذا الوادي، وتنتمي للمقاطعة السطايفية بحسب قوائم الأساقفة. عالج ستيفن غزال (Gsell.S) إشكالية الحدود بين المقاطعتين عام 1902 في مقال له (Gsell S. , 1902, p. 43) وقد اعتمد على ما أتت به بعض الإشارات في القائمة الأسقفية لعام 484م والتي تعطينا خطا عبر مجانة (Medjana) إلى زابي (Zabi) (Laporte j. p., 1999, p. 213). وضعت المدن التالية في أقصى غرب السطايفية، تيكلات (Tubusuctu) وبجاية (Saldae)، وكذلك كل من القصر (Tubusuctu) شمال مجانة، وأيضا (Equizetum) (أولاد عقلة)، إضافة إلى (Lemellef) (برج لغدير) و(Thamallula) (راس الواد) الموجودة أيضا بمجانة نفسها، وإلى الجنوب نجد مدينة خربة سد بلعباس (Flumen piscense) (واد لقصب) وأخيرا زابي (Zabi) قرب المسيلة، هذه الأماكن تنتمي إلى موريطانيا السطايفية وتسمح لنا بوضع حدود تقريبية بين المقاطعتين السطايفية والقيصرية، والمعلوم أن سهول مجانة كانت سطايفية(Gsell S. , 1902, p. 43)، وقد اعتمد بيار سلامة على معلومات ستيفن غزال هذه في وضع خريطة الطرقات (Laporte j. p., 1999, p. 213).

يعتقد كريستيان كرتوا أن احتمالات غزال خاطئة؛ بسبب اعتماده على المصادر الكهنوتية (القوائم الأسقفية) وذلك بسبب عدم التطابق بين المقاطعات الكهنوتية والمَدنية، ويقترح نظرية بالاعتماد على التأريخ المقاطعاتي الذي بدأ عام 40م (Courtois, 1955, p. 83)، وهو بذلك يضع (Aqua Frigida) في قيصرية بعد تقسيمها. حسب ظنه فالحدود بين القيصرية والسطايفية هي شرق (Aqua Frigida) (ترقينة الحالية ـالشلال)، وهو الأمر الذي يضع صلداي في القيصرية، لكن قائمة 484م تضعها في السطايفية، ثم يشير أن مجموعة النقوش المكتشفة بين 288 ـ318 م التي نجدها في المنطقة الحدودية هي بكل تأكيد تنتمي إلى القيصرية (Laporte j. p., 1999, p. 115). لكن نظريته هذه خاطئة؛ كون العديد من نصوص القيصرية مؤرخة مقاطعاتيا بدءا من 40م، ولا يمكن ملاحظة ولا مرة ذكر السطايفية منفصلة عن القيصرية؛ لذا من غير المعقول التأريخ لفترة غير موجودة، فهاتان المقاطعتان

ظهرتا تزاناً وظهور الموريطانية، واحتفظت كل منهما بالتاريخ نفسه القديم الذي يبدأ مع دخولها ضمن الإمبراطورية الرومانية عام 40م(Laporte j. p., 1999, p. 115).

انطلاقا مما سبق يمكننا وضع الحدود بين المقاطعة السطايفية والقيصرية التي تمر غرب بجاية وشرق أزفون، ويحتمل أنها تمثلت في وادي دعاس الذي توجد على ضفته اليسرى مدينة فكار (Vachar) التابعة لموريطانيا القيصرية (تمام، 1016/2015، صفحة 28)، ثم تنحرف غربا متبعة وادي فلتون وأحد روافده في جبال جرجرة، وبذلك تبقى مدينة قصر كبوش في موريطانيا السطايفية (Cat, 1891, p. 5) ، ومنها تتقدم الحدود في اتجاه الجنوب الغربي مرورا بمرتفعات بني مليكاش تاركة سهل مجانة والمدن المنتشرة فيه كما سبق الإشارة لها في موريطانيا السطايفية (Gsell S. , 1902, p. 43)، ومنها تعبر الحدود جبال ونوغة لتصل إلى وادي جنان أحد روافد وادي شلال، ثم تتجه نحو الجنوب الشرقي حتى تصل إلى جبل سلاط شمال بوسعادة (بشاري م.، صفحة 31).

إذا كانت الحدود الشرقية والغربية فيها إشكال ويصعب تحديدها، فإن الأمر يختلف كليا بالنسبة للحدود الشمالية والجنوبية للمقاطعة، فالأولى تمتد على سواحل البحر المتوسط، من مصب الوادي الكبير شرقا حتى وادي دعاس غربا (تمام، 1016/2015، صفحة 28)، أما الحدود الجنوبية فتصل لمنطقة الحضنة(منصوري خ.، 2001، صفحة 172). وعليه يمكننا إعطاء حدود تقريبية لموريطانيا السطايفية، فهي تمتد من الوادي الكبير شرقا إلى وادي الصومام غربا، ومن السواحل المتوسطية شمالا إلى مدينة زابي قرب المسيلة جنوبا (منطقة الحضنة) (مسعي، 2011، صفحة 148).

3- القبائل التي استوطنت موريطانيا السطايفية

تتمركز بمقاطعة موريطانيا السطايفية العديد من القبائل مستقرة كانت أو متنقلة، ونجد صعوبة كبيرة في التعرف عليها بدقة؛ نتيجة اعتمادنا على ما جاءت به المصادر الكلاسيكية إغريقية ولاتينية، إضافة إلى بعض النقوش التي ذكرت القبائل في مناسابات مختلفة منها صراعها ضد الوجود الروماني، ولعل من أكثر قبائل المنطقة شهرة قبائل البوار التي تعد من أقدم القبائل التي استوطنت المنطقة، وعرفت بأسماء مختلفة في المصادر سواء الكتابية أو الأثرية؛ بسبب تناقل اسمها من لغة لأخرى، ومن لهجة لثانية كالبوار (Bawares) والبافار(Bavares) والبابار (Babares). وقد جاء ذكرهم بهذه المصادر في فترة متأخرة نحو القرن الرابع الميلادي، بينما نجد غيابًا لهم لدى الكتاب الرومان أمثال بلين في كتابه "التاريخ الطبيعي".

ويعد البوار من أكثر الأقوام شهرة في المصادر الأثرية، حيث ورد ذكرهم في حوالي خمس عشرة نقيشة لاتينية أمكن التأكد منها عام 1955(Camps, 1955, p. 242)، ونضيف واحدة تم اكتشافها قرب مدينة البيض سنة 2014م وهو بعد جغرافي لم نكن نتوقع أن الجيش

الروماني اصطدم بقبائل البوار فيه (Drisi, 2015, p. 51)، تعرف هذه القبائل بقوتها وكثرة عددها، وصفت في النقوش بالشعب الكبير (Gentis Multas)(عقون، 2008، صفحة 160)، ووصفهم ديزانج بأنهم شعب أو مجموعة من الشعوب (Desanges, 1962, p. 47)، تم تحديد مواقع تمركزها في موريطانيا القيصرية وحتى في نوميديا، وتوصل قبريال كامبس إلى أن هذه القبائل هي شعب واحد سكن المنطقة الممتدة من الجزء الأعلى لواد ملوية إلى غاية جنوب شرق سطيف (Camps, 1955, p. 244). يتفرعون إلى بوار شرقيين في جبال بابور إلى مشارف كويكول وميلة (Desanges, 1962, p. 47)، وبوار غربيين يقطنون الجنوب الوهراني حتى نهر الملوية، فهم بهذا التحديد قوم جبليون مزارعون ومربو مواش، في حين يرى مؤرخون آخرون ومنهم أندري جوليان أنهم بدو رحل دائمو التنقل عبر السهوب الداخلية (Desanges, 1962, p. 244).

بينت النقوش والنصوص أن البوار كانوا دوما في مواجهة الهيمنة الرومانية، إذ تذكر انتصارات القوات الرومانية عليهم، حيث شكلت هذه القبائل ضغطا على الإدارة الرومانية. تحالف البوار مع القبائل المجاورة لهم ومنها قبائل الحلف الخماسي (Quinquegentanei) التي تعدّ من أهم وأكثر القبائل الجبلية المنتشرة بالمنطقة، ذكرتها المصادر اللاتينية ككونفدرالية قبائل متمركزة في المنطقة الجبلية، وتتربع على كافة أنحاء منطقة القبائل الكبرى ما بين دلس وصلداي (بجاية) (Carcopino, 1919, p. 375)، اشتهرت بمقاومة الاحتلال الروماني خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين بالمرتفعات الشمالية لحوض الصومام(عقون، 2008، صفحة 161) ، هي اتحاد خمسة قبائل مغاربية مشكلة كنفدرالية تتكون من:

الماسنيسانس(Masinissenses) وهي قبيلة مسينا أو إيمسينس(Imsissen) المتمركزة في الضفة اليمنى لواد الساحل، وتجاورها قبيلة التندانيس (Tundenses) تتمركز شرق وادي الصومام (Desanges, 1962, p. 61) بالتحديد بإقليم قبيلة فناية الحالية، ومن قبائل الحلف أيضا نجد قبيلة الإيسافلاس(Isaflenses) التي ذكرها أميان ماركولان عدة مرات دون تحديد موقعها وهي فليسة اليوم أوإفليسن(عقون، 2008، صفحة 162)، وقبيلة الجبولوسي (Gebalussi) تقع هذه القبيلة بشرق وادي الصومام وجنوب موسلييوم، ذكرها أميان ماركولان باسم قبيلة الأيوبالوني (Lubaleni) وحصرها في المنطقة المجاورة لأوزيا، وهو ما ذهب إليه غزال الذي حدد موقعها في المنطقة الممتدة من باب لحديد إلى مذائق البلسترو الأخضرية (Palestro) (Gsell S. , 1902, p. 25)، وقبيلة الجيبولاسي قريبة من قبيلة الموسولاني وهي بهذا التحديد تتمركز في جرجرة وهي زواوة حاليا (Desanges, 1962, p. 53)، آخر قبائل هذا الحلف الإيسالانس (Iesalenses) ذكر أميان ماركولان أنها تتموقع في نواحي أوزيا(أقوني، 2015، صفحة 13). من جيران الحلف الخماسي قبيلة الفراكسنس

(Faraxinenses) التي برزت خلال القرن الثالث الميلادي (Desanges, 1962, p. 51) كانت تقيم بجبال جرجرة وبالقرب من قبيلة الجبولوسي.

وتقطن بمقاطعة موريطانيا السطايفية على غرار البوار والحلف الخماسي، كل من قبيلة البانيوري (Baniuraii) (Desanges, 1962, p. 45) حدد موقعها بطليموس شرق قبيلة الماكوربي (Macurbi) (بطليموس، 2002، صفحة IV،5،2)، وهذا ما جعلنا نحتمل كونها أحد قبائل منطقة القبائل الكبرى الساحلية أو وادي الصومام، وربما تكون إحدى القبائل المشكلة لقبائل الحلف الخماسي، لكنها أكثر شهرة من قبائل البابوراي (Bairae) وبانيوريس(Banuires) وقبيلة البانتوراري (Bantourarii) الواقعة غرب الجزائر، ووفقا لشهادة ابن خلدون الذي قارب قبيلة البانيوري بقبيلة ونوغة (Wanugha) المتمركزة بين مليانة والبيبان، وجنوب هذه القبيلة نجد الماخور (Makoures) التي يحتمل أن تكون إحدى قبائل بابور. قبيلة النباسي (Enaba)(Desanges, 1962, p. 45.55.51) يمكن حصر موطن هذه قبيلة بين وادي الصومام وحوض الحضنة، يذكر (E.cat) (Cat, 1891, p. 73) أن قبيلة النباب (Nababes) تتمركز في وادي الصومام(بطليموس، 2002، صفحة IV،2).

قبيلة البارزوفلتياني(Barzufulitani)(Desanges, 1962, p. 47) ذكرها يوليوس هونوريوس(Iulius Honorius) بالقرب من قبيلة الفلميوننس (fluminense)، وقبيلة الفراتنس (fratenses) التي ذكرها أميان ماركولان أنها تقع في تيكلات، وحسب طاولة بوتنغر(Peutinger, VI) حدد موقعها بين صالداي ودلس(Desanges, 1962, p. 51)، قبيلة البور(Bures) تتواجد بين القبائل الكبري وزكار(Zaccar) (Desanges, 1962, p. 47)، وتمركزت بديار مامي (Tule Castellum) قبيلة التولونسي(Toulensii) جنوب قبيلة الماكوربي ، قبيلة الروسيكنس(Rusuccenses) ذكرها يوليوس هونريوس بجوار قبيلة الفراتنس في حوض الفراكوس، ما يعني سكان (Rusuccus) أي دلس(Desanges, 1962, p. 68).

وتقيم قرب جيجل قبيلة الأكوتامي، في حين تنتشر قبائل الزميزي (Zimeies) جنوب هذه المدينة فمضاربها توضع بين إجيجلي ومصب نهر الأمساغا (الوادي الكبير) (Desanges, 1962, p. 72)، وعلى الضفة اليسرى لهذا الوادي ذكر بطليموس قبيلة الكودموسي (Koidamousii) التي حدد دوزونج موقعها بين وادي الساحل ووادي الذهب، وغير بعيد عن واد لامساغا ذكرت من طرف بطليموس قبيلة السالاسي (Sallasii) التي ذكرتها نقيشة عثر عليها جنوب شرق الميلية بجيجل(Desanges, 1962, p. 56.68).

كما وطنت المنطقة محل الدراسة قبائل أخرى قبيلة الموسلامين (Musulames) (Desanges, 1962, p. 116.117) التي ذكرت في عديد الوثائق الأثرية رغم اختلاف اسمها بين المؤرخين، فبلين ذكرها باسم المسولاسي (Misulassi) أو الموسولامي (Muslmi)، تقع ضمن مقاطعة إفريقيا، وذكرها بطليموس تحت اسم (Misoulm) أو الميسولا (Msoula)

الواقعة في بونا (عنابة) بنوميديا، وأسفل قبيلة النتابوت (Nataboutes) (بطليموس، 2002، صفحة Vl.2.25). أما طاولة بوتنغر فتحددها بين سطيف وحمام السخنة، والاحتمال المتوقع هو وجود قبيلتين إحداهما في مقاطعة إفريقيا، والأخرى بمقاطعة موريتانيا السطايفية (Desanges, 1962, p. 48)، قبيلة الموسوني (Musoni) (أقوني، 2015، صفحة 13) ذكرها يوليوس هونوريوس باسم الموزوني (Musuni) أو الموزوناي (Musunei) (Gsell S. , 1902, p. 37)، وحسب طاولة بوتنغر تتواجد بين ستيفس والحضنة (مقدم، 2002/2001، صفحة 49).بينما تقع قبائل الموكوني (Moukouni) جنوب البابور ولهم علاقة مع الموسوني (Desanges, 1962, p. 64).

قبيلة المازيكس (Mazices) حدد هونريوس موقعها في حوالي القرن الخامس الميلادي، بين قبيلة الحلف الخماسي والبوار وبين قبيلة الموسوني وقبيلة الأنونيت(Desanges, 1962, p. 49) ويرى دي لامار أن هذه القبيلة قطنت المنطقة الجبلية التي تفصل نوميديا عن السطايفية، في حين غزال يعتقد أن اسم المازيس يتطابق مع قبائل بني مناصر قرب شرشال حاليا، وقد أسندت هذه التسمية إلى عدة قبائل في شمال إفريقيا، إذ عثر على عدة نقوش ليبية تحمل مصطلحات متقاربة مع المازيس مثل (Mazik، Mazix، Mazzic، Mazic، Mazica)(Gsell S. , 1902, p. 35). وإلى جانب هذه القبائل نجد فرعاً من قبيلة نوميديا حمل اسم نوميداروم أو النوميداي (Numidarum) وتتواجد غرب برج مجانة قرب مدينة برج بوعريريج حاليا (Desanges, 1962, p. 66).

وجدت بمقاطعة موريطانيا السطايفية العديد من القبائل التي ورد ذكر أسمائها وحدد موقع استقرارها في المصادر الأدبية، كالنصوص التاريخية والجغرافية مثل ما أورده كل من أميان ماركولان ويوليوس هونريوس، والمصادر المادية المتمثلة في النقوش الأثرية، هذه المصادر بنوعيها قدمت لنا معلومات متفاوتة عن هذه القبائل، وسلطت الضوء وبدرجة أكبر على قبائل البوار والحلف الخماسي التي اشتهرت بقوتها وكثرة عددها وعدائها ومقاومتها للاحتلال الروماني وبخاصة خلال القرن الثالث الميلادي، في حين القبائل الأخرى اكتفت المصادر بإشارات مقتضبة لها فقط. عرفت هذه القبائل بكثرة تحركاتها ما صعب من تحديد موطنها ومعرفة نمط معيشتها، كما استطاعت هذه القبائل تشكيل كنفدراليات مؤقتة واجهت الرومان مستغلة ضعف جيشه بين الحين والآخر.

4- ثورات قبائل موريطانيا السطايفية

لم تنقطع ثورات السكان المحليين في المغرب القديم طيلة فترة الوجود الروماني بالمنطقة، تعبيرا عن رفضهم للسياسة الرومانية القائمة على التوسع والتوغل على أراضي القبائل المحلية، واستمرارها في الضغط عليهم، وحصارهم بإقامة المنشآت العسكرية، وبناء القلاع والحصون ما حد من حريتهم (مقدم، 2002/2001، صفحة 136)، بدأ هذا الصدام منذ

القرن الأول، واستمر بقوة خلال القرن الثالث الميلادي، حيث وجدت هذه القبائل الفرصة سانحة لشن هجمات ضد السلطة الرومانية وزعزعت أمنها واستقرارها بالمنطقة (منصوري خ.، 2001، صفحة 175).

ثورات البوار والحلف الخماسي

يعد البوار من أكثر الأقوام شهرة في النصوص والوثائق الأثرية، حيث ورد ذكرهم في حوالي خمس عشرة نقيشة لاتينية (Camps, 1955, p. 242)، أظهرت هذه النقوش وعلى اختلاف أماكن تواجدها من نوميديا إلى موريطانيا الطنجية وفي فترات زمنية مختلفة امتدت من أواخر القرن الثاني إلى القرن الخامس الميلادي أن البوار والحلف الخماسي كانوا في مواجهة دائمة ومستمرة ضد الهيمنة الرومانية، فهي تذكر انتصارات القوات الرومانية عليهم، إذن فذكرهم مربوط بتواريخ الأحداث العسكرية بالمنطقة كان البوار والحلف الخماسي طرفا فيها، رغم قلة هذه النقوش وتحيزها، إلا أنها ساعدتنا في إحصاء الثورات التي قامت بمناطق تواجدها، كما أنها أظهرت جدية الخطر الذي مثلته تلك القبائل، من أشهر هذه النقوش التي أشارت إليهم في المنطقة واعتمد عليها في تحديد موطنها:

نقيشة لامباز (Lambaesis) (تازولت حاليا) حدد تاريخ النقيشة بـ253-256م (CIL, VIII ,1863 n 02615) التي تنص على منطقة ميلة كميدان لمعركة كبيرة هزم فيها البوار، نقيشة أوزيا (Auzia) (سور الغزلان) مؤرخة بسنة 260م وتقترب هذه النقيشة من حيث سير الأحداث من نقيشة لامباز، ومن المحتمل أنها تشير للحوادث السابقة نفسها (مهنتل، صفحة 433)، نقيشة المهدية (Mellah) (نواحي سطيف شرق الجزائر) يعود تاريخها إلى 253م وتذكر البوار، نقيشة ثنية المسكن(نواحي سطيف) التي تقترب من سابقتها في الزمان والمكان(شنيتي م.، صفحة 347). ونقيشة شرشال (Caesarea) المؤرخة بحوالي290- 292م، وفي التاريخ نفسه نقيشة صالداي (Saldas)، وأخيرا نقيشة البيض المكتشفة عام 2014 بمنطقة البيض، اعتبرت كأقدم إشارة أثرية لقبائل البوار أقيمت في عهد الإمبراطور سبتموس سفيروس(193-211م)، أي فترة السلم المعروفة لدى المؤرخين(Drisi, 2015, pp. 51-63).

من خلال القراءة المتأنية لمحتوى هذه النصوص الأثرية، تم إحصاء أهم الثورات التي قامت بموريطانيا القيصرية خاصة خلال القرن الثالث الميلادي التي خلدتها النقوش، فتناولت أسماء ملوك وأمراء لهذه القبائل (نقيشة ثنية المسكن)، وأيضا ذكرت تحالفات جرت بين قبائل البوار نفسها أو مع قبائل أخرى منها تحالف البوار الغربيين مع قبائل البقواط في عهد ألسكندر سيفيروس، وتحالفها مع قبائل الحلف الخماسي والفراكسنانسسمن وهي:

1. ثورة 227 م

من هذه الثورات نجد ثورة عام 227م التي ذكرت في نقيشة عثر عليها بمدينة سور الغزلان(Auzia)، تخلد انتصار بروكيراتور مقاطعة موريطانيا القيصرية ليكنيوس هيروكلس

(T. Licinius Hierocles) على قبائل البوار(Camps, 1955, p. 249) المتحالفة مع قبائل الحلف الخماسي بقيادة فراكسن، كما تشير نقيشة أخرى إلى أن هذا القائد كان فعلا حاكما للقيصرية في تلك الأثناء أي عام227م(CIL, VIII ,9354) وكان البوار أول المهاجمين لقربهم من مراكز الاحتلال، فنزلوا من موطنهم بجبال البابور مكتسحين المزارع الرومانية في السهول، ورغم عدم نجاح الثورة في الانتصار، إلا أنهم أثاروا الرعب والفزع في أوساط المعمرين، ما دفع بهم إلى بناء الأسوار والتحصينات للاحتماء بها عند الضرورة بتشجيع من الإمبراطور ألكسندر سيفيروس(Alexander Sévère)(222-235م) وبإشراف حاكم المقاطعة(تمام، 1016/2015، صفحة 76)، منها تحصين قلعة خربة عين السلطان الواقعة إلى الجنوب من سطيف، وقلعة عين ملول كدليل على هذه الاضطرابات(تسعديت ر.، 1990، صفحة 44).

ويرجع سبب قيام هذه الثورة لقيام الرومان بفتح طريق بين ستيفيس وأوزيا (سور الغزلان)، عبر جبال البابور في محاولة الأباطرة السيفريين فرض رقابة مشددة على سكان هذه الجبال، ويشهد على ذلك نصب ميلي عثر عليه في برج غريس يعود إلى عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس، هذه الثورة كانت على غير العادة داخل الليمس الروماني، وليس من الصحراء(تسعديت ر.، 1990، الصفحات 33-34)(تمام، 1016/2015، صفحة إ76)، إذن فسبب هذه الثورة هو رفض القبائل المحلية للسياسة الرومانية القائمة على سلب أملاك القبائل المحلية واستمرارها في الضغط عليها، وحصارها بإقامة المنشآت العسكرية وبناء القلاع والحصون(مقدم، 2002/2001، صفحة 136). كما ذكرت نقيشة أخرى معاصرة لهذه الأحداث (أي عام 227) عثر عليها بخربة عين السلطان جنوبي سهول سطيف، أعمالا تحصينية جرت على قلعة يبدو أنها كانت قائمة بالموقع نفسه وتدعى سيتوفتنس (Castillum Citofetense)(شنيتي م.، صفحة 277).

2. ثورة سنة 253 ــ 263 م

كانت ثورة 227م بداية لفترة طويلة من الاضطرابات والثورات، فسنوات قليلة بعد إخمادها قامت بالمنطقة سلسلة من الثورات التي شاركت فيها قبائل البوار وقبائل الحلف الخماسي منها تلك التي فجرها البواريون في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي سنوات253-262م، والتي ستشتد بين 289م حتى 298م (Camps, 1955, p. 253)، يذكر كركوبينو(Carcopino) أن إفريقيا الرومانية عرفت تزايدًا في الثورات، ودامت لمدة تسع سنوات، بدأت بثورة قبائل البوار القاطنة بمرتفعات البابور و اتحدت مع قبائل الحلف الخماسي(صفر، صفحة 373)، وهاجمت نوميديا و امتد لهيبها إلى سهول سطيف، إلا أن حاكم مقاطعة موريطانيا القيصرية تمكن من التصدي لهذه الثورة ودفعها للانسحاب. يذكر كانيا (Cagnat) أن الثوار استطاعوا أخذ عدد من الأسرى المسيحيات، الأمر الذي دفع بالقديس

كبريانوس (Cyprianus) أسقف كنيسة قرطاج إلى جمع مبلغ كبير من المال(100ألف سيسترسSestrces) لأجل افتداء المختطفات، وعلى الأخص العذارى منهن (Carcopino, 1919, pp. 272-273)، وقام بإرساله إلى عدد من الأساقفة، منهم أسقف توكا (Thucca) لفديتهن، ولم يرد في رسالته للأساقفة في نوميديا اسم أي قبيلة من القبائل المشاركة في ثورة سنة 253م، البعض ينسب عملية الاختطاف هذه إلى قطاع الطرق وليس الثوار (Cagnat, 1912, p. 60).

نجح حاكم موريطانيا القيصرية أوريليوس فيتاليس(A. Aurelius Vitalis) والقائد أولبيوس كاستوس (Ulpius Castus) قائد سرية تراقيا (L'ala Thracum) من إلحاق الهزيمة بالثوار بعين بوذيب الواقعة بالقرب من وادي الأكحل، وهو الانتصار الذي خلد في نقيشة يعود تاريخها إلى 254م(CIL.VIII.20827) ، في فيفري 255م انتصر قائد الفرسان الموريين أيليوس بريمانوس (P. Aelius Primanus) هو موري مرومن(Courtois, 1955, p. 372)على الثوار بنواحي سور الغزلان يحتمل أنهم من البوار، وابتداء من سنة 254م امتدت الثورة إلى كامل القيصرية ونوميديا(مقدم، 2002/2001، صفحة 138)، تولى القتال كورنيليوس أوكتافيوس (M.Cornelius Octavianus) قائد أسطول مسينا (Benabou, 1976, p. 221) وعين حاكما على موريطانيا القيصرية من 255 إلى 258م، حيث تشير النقيشة التي عثر عليها بثنية المسكن بالممر الرابط بين البابور وسهل سطيف على بعد 30 كلم عن مدينة سطيف (Sitifis)، إلى انتصاره على قبيلة البوار سنة 258م(مقدم، 2002/2001، صفحة 138)، كما ورد بالنص كذلك أسماء ثلاثة ملوك من بين الذين هزمهم أوكتافيانوس وهم تغاوين (Tagauin) ومسمول(Masmul) وفاهم (Faham). وأشار النص أيضا إلى أسر عدد كبير من أفراد هذه القبائل بعضهم ينتمون إلى العائلة الملكية(شنيتي م.، صفحة 347).

تميزت سنة 259م بعدة معارك بين الفرق الرومانية بقيادة الليغاتوس س. ماكرنينوس ديكيانوس حاكم نوميديا (Decianus .Macrininus) والثوا، حيث كانت أول معركة بالقرب من ميلة (Milev) والثانية بالحدود النوميدية الموريطانية، وبعد المعركة الثانية وانهزام البوار، انضمت قبائل الحلف الخماسي (مقدم، 2002/2001، صفحة 138) التي هاجمت شرق موريطانيا وغرب نوميديا من الوسط متبعة وادي الذهب، وقبيلة الفاركسينينس التي توجهت نحو سور الغزلان وسهل مجانة، وخلال عام 259م تمكن س. ماكرنينوس ديكيانوس الذي استدعي مرة ثانية من هزم قبائل البوار وملوكها المتحالفين مع قبائل الحلف الخماسي وقبائل الفاركسينينس (Benabou, 1976, pp. 21-22)، ورغم أهمية هذه الثورة وعدم تمكن الجيش الروماني من القضاء عليها، إلا في سنة 260م(Carcopino, 1919, p. 374) إلا أن المصادر الأدبية لم تتعرض لها ولم تتحدث عنها.

- ثورة 270-275م تحت قيادة (Aurélien) أو (Probus) هي ثورة ربما ليست متواصلة، تخللتها فترات من السلام النسبي، كانت في نهاية عهد أورليان (Aurélien)(270-275م)، واستمرت حتى في بداية عهد بروبس Probus(276-282م) قادتها قبائل الحلف الخماسي التي استطاعت الاستيلاء على بلدة رابيدوم (Rapidum)، وهناك العديد من الثورات لم تخلدها الوثائق ليومنا هذا (Laporte J. P., 1996, p. 111).

إذا كان قمع السلطة الرومانية لتلك الثورات التي شهدها النصف الأول من القرن الثالث قد سمح بعودة الأمن واستقرار الأوضاع بموريطانيا القيصرية، فإن ذلك الاستقرار لم يدم لفترة طويلة، حيث ما إن حلت سنة 289م حتى شهدت هذه المقاطعة سلسلة أخرى من الثورات أشد خطورة وأكثر عنفا(منصوري خ.، 1986/1987، صفحة 207).

3. ثورات سنوات 289- 297م

تميزت الفترة الممتدة ما بين حكم غاليانوس (Gallienus) (253 - 268) وبروبوس (Probus) بفقدان الشواهد المادية، فربما ساد الأمن والاستقرار في موريطانيا السطايفية، لكن ما إن حلت سنة 289 م حتى تغير الوضع بقيام ثورات أكثر عنفا من سابقتها، دامت حوالي عشر سنوات، وامتدت فشملت تقريبا كامل المقاطعة حوض الصومام (صفر، صفحة 74)خاضتها قبائل الحلف الخماسي والبوار. تشير نقيشة سور الغزلان (Auzia) إلى أن إقليم مقاطعة موريطانيا القيصرية عانت من ثورة شهدتها منطقة سور الغزلان ، وسور لجواب، غير أن حاكم المقاطعة أوريليوس ليتوا (Aurelius Litua) تمكن من القضاء عليهم سنة 289م، في السنة نفسها اندلعت ثورة قبائل الحلف الخماسي(مقدم، 2001/2002، صفحة 141) التي هددت السهول العليا لموريطانيا انطلاقا من الونشريس إلى القبائل الكبرى، وتوجب على أوريليوس ليتوا الخروج على رأس القوات السطايفية والقيصرية للقضاء عليها (Laporte J. P., 1996, p. 111).

ما زاد من خطورة الوضع، تدخل قبائل أخرى تتمركز بالشطر الشرقي ووسط الحضنة يحتمل أنها من القبائل الرحل، يفترض حدوث تحالف بين هذه القبائل المنتشرة في شمال الصحراء وقبائل التل وسكان الجبال (قبائل الحلف الخماسي وقبائل البوار والباواريين المقيمين جنوب الشطوط بين وادي الساحل وجبال الحضنة (Bavari Transtagnenses) (Benabou, 1976, p. 235)، وواصل أوريليوس ليتوا حربه ضد قبائل الحلف الخماسي، إلى أن انتصر عليهم سنة 292م(مقدم، 2001/2002، صفحة 141) وهو الانتصار الذي اعتبره البعض محدودا.

هذه الثورات والغليان الذي شهدته المنطقة، كان قبل تأسيس المقاطعة السطايفية، واشتد أكثر في عهد الإمبراطور ديوقلديانوس الذي شعر بالعجز عن إخماد هذه الاضطرابات والفتن المشتعلة بجميع أنحاء العالم الروماني، ما اضطره لإدخال عديد الإصلاحات التي كان على إثرها ميلاد المقاطعة السطايفية، والواضح من تلك التجزئة هو خلق ولايات صغيرة

يسهل إحكام القبضة عليها(بوكبوط م.، 1982، صفحة 69). ولم يقتصر هذا التعديل على التنظيم الإداري فحسب، بل مس كذلك الساحة الحدودية بإخلاء الجيوش الرومانية مساحات شاسعة من المقاطعة الموريطانية بالانسحاب من غرب القيصرية ماعدا الساحل، وعلى الرغم من هذه الإجراءات التي أريد بها إيقاف الثورات لتدهور أوضاع الإمبراطورية، إلا أن هذه الثورات بقيت مستمرة(بوكبوط م.، 1982، صفحة 70).

4. ثورات 297ـ 298 م

استمرت الاضطرابات إلى غاية سنة 297 م، حيث ازداد إصرار سكان هذه المقاطعة على التخلص من الهيمنة والسيطرة الرومانية التي عجزت عن وضع حد نهائي لهذه الثورات(تمام، 1016/2015، صفحة 82)، مما اضطر الإمبراطور ماكسيميانوس (Marcus Aurelius Valerius Maximianus Hercule) للتدخل شخصيا لمحاربة هذه القبائل، واتخذ من مدينة تيكلات كقاعدة عسكرية له، انطلقت منها عملياته العسكرية. وللقضاء على هذه الثورات، استدعيت الفرقة البريطورية، والفرق المساعدة الغالية والجرمانية وفرقة من كتيبة كلوديا الحادية عشرة(Legio XI claudia)، والفرقة الهرقلية الثانية (herculia Cohors II) وفرقة تراجانوس الثانية (Cohors II Trajana) ، فضلا عن الجنود المسرحين الذين أعيد استدعاؤهم، وبهذه الجيوش انطلق ماكسيميانوس في عملياته العسكرية، وأول ما واجه قوات الحلف الخماسي التي تمكن من دحرها إلى ما وراء جبال الحضنة، ورغم ذلك استمر الثوار في محاربته، وكادت أن تقضي على القيصر الروماني في كمين نجا منه بأعجوبة، ويعتقد أنه تم القضاء على هذه الثورة سنة 298م؛ لأنه في 10 مارس 298م دخل ماكسيميانوس منتصرا إلى مدينة قرطاجة(مقدم، 2002/2001، صفحة 141).

وبالعودة لما جاءت به النقائش التي عثر عليها بمجال المقاطعة السطايفية ، نجد بأنها تظهر تقليلها من شأن تلك الثورات، من خلال وصفها بأعمال لصوصية وتخريبة تعرضت لها كبرى المدن الرومانية(نقائش التي تعود لفترة 250-260)، وبالمقابل تفنن الرومان في التباهي بانتصارات حكام المقاطعات على القبائل الثائرة، ثم ما يثير انتباه الدراس لهذه الثورات ملاحظة التنظيم بين القبائل المحلية الذي اقتضى في بعض الأحيان التحالف، من ذلك التحالف بين قبائل البوار والحلف الخماسي وقبائل الفراكسنس، وهو ما أبان على وعي وسعي القبائل المحلية للتخلص من الاحتلال الروماني في أي فرصة تتاح لهم، متجاوزين خلافاتهم الداخلية ومغلبين مصلحة أوطانهم (Carcopino, 1919, p. 372).

وهو ما يدعونا للقول بأن هناك شكلا من التنسيق بين هذه القبائل، وهو ليس وليد الفترة محل الدراسة فقط، بل يعود لبدايات الاحتلال الروماني للمغرب القديم كالتحالف الموزولامي الموري الغرامني الجيتولي، والكنيثي في ثورة تاكفاريناس بداية القرن الأول الميلادي(17-24م)، وحتى في القرن الثاني الميلادي، حيث أظهرت نقيشة كارتيناي(Cartennae)(تنيس Ténès) (CIL.VIII.9663) التي تعود لعهد هادريان ومؤرخة

بـ122م تحالفًا بين قبائل البوار الغربيين وقبائل البقواط (Baquates) ضد الرومان، وهو ما يدعم فكرة وجود تنسيق بين القبائل المورية التي شكلت وحدة متجانسة.

خاتمة ونتائج الدراسة

في ختام ورقتنا البحثية خلصنا إلى:

نتيجة للإصلاحات التي أحدثها ديوقلديانوس على الولاية الرومانية بالمغرب، باستحداث مقاطعات جديدة، ظهرت موريطانيا السطايفية في الجزء الشرقي من المقاطعة القيصرية أواخر القرن الثالث الميلادي، وشغلت مجالا جغرافيا امتد من الوادي الكبير شرقا حتى وادي الصومام غربا، ومن البحر المتوسط شمالا إلى شط الحضنة جنوبا.

وجدت بمقاطعة موريطانيا السطايفية العديد من القبائل التي ورد ذكر أسمائها، وحدد موقع استقرارها في نوعين من المصادر الأدبية (إغريقية ولاتينية)، والمصادر المادية المتمثلة في النقوش الأثرية، وهي المصادر التي قدمت لنا معلومات متفاوتة عن هذه القبائل، وسلطت الضوء وبدرجة أكبر على قبائل البوار والحلف الخماسي التي اشتهرت بقوتها وكثرة عددها وعدائها ومقاومتها للاحتلال الروماني، وبخاصة خلال القرن الثالث الميلادي. وعرفت هذه القبائل بكثرة تحركاتها، ما صعب أمر تحديد موطنها، ومعرفة نمط معيشتها.

إن السياسة الرومانية التوسعية الاستغلالية والاستراتيجية العسكرية، كمراقبة وتطويق السهول والهضاب، وبناء الأبراج والقلاع والحصون، وشق الطرقات المطبقة في المنطقة أثرت على القبائل المحلية، فأدت إلى حصارهم والحد من حريتهم وتحركاتهم، كل هذا كان السبب وراء ثورات الأهالي كقبائل البوار والحلف الخماسي التي تصدت للوجود الروماني.

تلك الثورات التي عرفت النجاح أحيانا، والفشل في أحيان أخرى، استطاعت أن تزعزع أمن السلطة الرومانية، وأن تشكل خطراً على مصالحها بالمنطقة، فقد أجبرت هذه الثورات الأباطرة على التنقل شخصيا للمنطقة من أجل القضاء على هذه الثورات؛ لحرصهم على الاحتفاظ بهذه المقاطعات، كما أن هذه الثورات ساهمت في تراجع الليمس الروماني بداية من القرن الثالث، وخروج أجزاء عديدة عن السيطرة الرومانية.

5. التعليقات

1. الإمبراطور ديوقلديانوس(285-305م): بالإنجليزية (Diocletian) ولد عام 245 م في مدينة سالونا (salona) بولاية دالماشيا بإقليم إيليريا المطل على البحر الأدرياتى شرق إيطاليا، انضم إلى طبقة الفرسان ووصل إلى رتبة دوق (أى قائد الفرسان) في ولاية ميسيا، ثم أصبح قائد قوات الحرس الإمبراطورى الخاص وهى من الوظائف الخطيرة، وتجلت كفاءته العسكرية في حرب فارس، وبعد موت الإمبراطور نوريانوس (283–284م) اعترف به بأنه أجدر شخص بعرش الإمبراطورية.

كان اسمه الحقيقى (ديوقليز Dicoles)، وقد اختار اسم دقلديانوس بعد أن اعتلى العرش، واتخذ لنفسه تاجا وأثوابا من الحرير والذهب، وأحذية مرصعة بالحجارة الكريمة، وابتعد عن أعين الناس في قصره.

للمزيد ينظر: (جينيون، 1997، الصفحات 109-110)

2. الحكم الرباعي: أو نظام (Dominat) أي نظام السيادة، حيث حلت السلطة المطلقة محل السلطة الدستورية، والذي سمي بالتترارشي (Tetrarchi)، وهي طريقة جديدة للحكم الجماعي أقرها الإمبراطور ديوقلديانوس بعد إصلاحاته عام 293م، وقوامها هيئة مكونة من أربعة أشخاص: إمبراطوران (أغسطس)، وقيصران؛ أي نائبا الأغسطس، وبهذا تم تنصيب ماكسيميانوس كثاني أغسطس في الشرق بمساعدة كونستانس برتبة قيصر، وعين غاليريوس (Galerius) قيصرا لديوقلديانوس إمبراطور الغرب الذي كانت الولاية الإفريقية تابعة له. للمزيد ينظر **(**Cagnat R. , 1909, p. 75**)**

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المراجع باللغة العربية

- أقوني الياسمين. (2015). "السياسة الرومانية في الجهة الشمالية الشرقية في موريطانيا القيصرية". المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية (2).

- بشاري محمد الحبيب." مدينة ستفيس". أعمال الملتقى الوطني الثالث حول المدن الجزائرية عبر العصور. المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة. الجزائر.

- كلاوديوس بطليموس. (2002). الجغرافيا. (ترجمة محمد المبروك الدويب، المترجمون) ليبيا.

- بنت النبي مقدم. (2002/2001). سياسة الرومان تجاه قبائل المغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأعلى. إ خديجة منصوري. جامعة وهران.

- بوكبوط محمد. (1982). الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات ـ صفحات من تاريخ الأمازيغ القديم. الرباط: إصدار مركز طارق بن زياد.

- تسعديت رمضان. (1990). الإصلاحات الإدارية السيفرية في بلاد المغرب القديم (193-235). جامعة الجزائر.

- تمام ناصر الدين. (1016/2015). مقاومة سكان موريتانيا السطايفية للاحتلال الروماني خلال القرنين الثالث والرابع الميلادي. مذكرة ماجستير. (محمد الحبيب بشاري، المحرر) الجزائر: جامعة أبو القاسم سعد الله.

- كركوبينو جيروم. (2008). المغرب العتيق. (محمد التازي سعود، المترجمون) الرباط: أكاديمية المملكة المغربية.

- سترابون. (2003). جغرافية سترابون (وصف ليبيا ومصر) (الطبعة الأولى). XVII. (محمد المبروك الدويب، المترجمون) بنغازي : دار الكتب الوطنية بنغازي.

- شارن شافية وبلقاسم رحماني ومحمد لحبيب بشاري، وشافية شارن. (2007). الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة. الجزائر: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

- شنيتي محمد البشير. الجزائر في ظل الاحتلال الروماني حول منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريتاني ومقاومة المور) (الجزء الأول). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- صفر أحمد. مدينة المغرب العربي التاريخ عشرون قرنا من تاريخ إفريقيا من عصور ما قبل التاريخ إلى العهد البيزنطي. تونس: دار النشر بوسلامة.

- صليحة مريم. (2018). "المقاطعة السطايفية حدودها سر وجودها". مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد13.

- عقون محمد العربي. (2008). الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- كبور عمر. (2016/2015). المجتمع القديم بمنطقة القنطرة من خلال الكتابات والمخلفات الأثرية خلال الفترة الممتدة مابين القرن الأول والثالث الميلاديين. (سليم دريسي، المحرر) جامعة الجزائر.

- مسعي عبد الحق. (2011). دور منطقة سطيف في مقاومة الاحتلال الروماني خلال القرن الرابع ميلادي. الخريطة التاريخية والأثرية لمنطقة سطيف.

- منصوري خديجة. (1987/1986). الدوناتية وثورات القرن الرابع في شمال إفريقيا. جامعة وهران.

- منصوري منصوري. (2001). "مستوطنة ستيفيس في الفترة الرومانية "النشأة والنمو الاقتصادي". مجلة الدراسات الإنسانية، العدد15.

- مهنتل جهيدة. (بلا تاريخ). "قبائل البوار في المغرب القديم على ضوء المصادر والنقوش اللاتينية". دراسات في آثار الوطن العربي (18).

ثانيا: المراجع باللغة الاجنبية

- Berbrugger Latour .(1860) .Une expédition romaine inédite .Rev,Afr.

- Cagnat.Réne .(1912)L'armée romaine d'afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les l'empreurs .imprimerie nationale E.Leroux.

- Charles Feraud .(1872) .Histoir des villes de la province de constantine ,imterneté principal de l'armeé' afrique(sétif _bordj bouareridj _ msila _ bousaada .(paris.

- Christian Courtois .(1955) .Les Vandales et L'afrique . paris: arts et métiers graphiques.

- C.I.L : Corpus Inscriptionum Latinarum.

- E Poulle .(1862) .de l'ere mauritaniénne et de l'epouque de la division de la Maurétanie Césarinne en deux province . RSAC.

- Edouard Cat .(1891) .Essai sur la province de la Mauretanie Cessarien .Paris.

- Edward Di Vita .(1984) .légat de Proconsul d'Afrique T. Claduduis Aurelius Aristobulus et la Création de la province de tripolitaine .L'Africa Romana.

- Gabriel Camps .(1955) .les Bavares Peuple de Mauretanis Césarienne .Rev ,Afri)volume 99.

- Jean Pierr Laporte .(1996) .Une inxription de Salde et la date de Sèpartion des Murèanties Cèsarienne et Sitifienne .L'Afriqa romana.

- Jean pierre Laporte .(1999) .La Limite entre les Maurétainies Césarienne et Sitifienne .Frontiéres et limites géographiques del'afrique du nord antique.

- Jehan Desanges .(1962) .Catalogue des tribus Africaines de l'antiquité classique a l'oust du nil . publications de la section d'histoire dakar.

- Juroum Carcopino .(1919) .L'insurrection de 253 d'âpre une inscription de Miliana . Rev.Afr.

- La table de Peutinger) .VI .(Section.

- Marcel Benabou .(1976) .La résistance africiine à la romanisation .paris: publié avec le concours de l'université de paris sorbonne.

- Monseigneur Toulott .(1894) .Géographie de l'Afrique chrétienne . imprimerie Notre-Dame des prés.

- René Cagnat .(1909) .La réorganisation de l'Afrique sous dioclétien .dans Melanges louis havet.

- Stéphane Gsell .(1902) .Observations Géographiques sur la révolte de firmus . RSAC.

- Salim Drisi .(2015) .Inscription inédite des Bavares d'El Bayadhet les troubles au Maghrebancien .A,A,S,P,P,A.

- Stéphane Gsell .(1911) .Atlas archéologique de l'Algérie,fibraires editeurs .paris.

- Youcef Aibeche .(2011) .Le projet de l'Atlas » Historique et Archéologique de la région de sétif.الخريطة التاريخية والأثرية لمنطقة سطيف ، الطبعة الأولى .